أبو العلاء المعرّي (363هـ -449هـ)

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري شاعر وفيلسوف ولغوي وأديب عربي من عصر الدولة العباسية ولد في معرة النعمان في الشمال السوري وإليها يُنسب وتوفي فيها لُقب برهين المحبسين أي محبس العمى ومحبس البيت وذلك لأنه قد اعتزل الناس بعد عودته من بغداد حتى وفاته.

حياته:

ولد المعري في معرة النعمان (في سوريا حالياً التي استمد اسمه منها) ينتمي لعائلة بن سليمان، التي بدورها تنتمي لقبيلة تنوخ، جده الأعظم كان أول قاض في المدينة، وقد عرف بعض أعضاء عائلة بن سليمان بالشعر، فقد بصره في الرابعة من العمر نتيجة لمرض الجدري. بدأ يقرأ الشعر في سن مبكرة حوال الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره في بلدته معرة النعمان، ثم ذهب للدراسة في حلب وأنطاكية، وغيرها من المدن السورية. فدرس علوم اللغة والأدب والحديث والتفسير والفقه والشعر على نفر من أهله، وفيهم القضاة والفقهاء والشعراء، وقرأ النحو في حلب على أصحاب ابن خالويه، ويدل شعره ونثره على أنه كان عالماً بالأديان والمذاهب وفي عقائد الفرق، وكان آية في معرفة التاريخ والأخبار. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، أخذ المعري النحو وشعر المتنبي عن محمد بن عبد الله بن سعد النحوي، وهو أحد رواة شعر المتنبي، وزاول مهنة الشاعر والفيلسوف والمفكر الحر. حيث سافر المعري إلى وسط بغداد لمدة من الزمن، حيث جمع عدداًكبيراً من التلاميذ الذكور والإناث للاستماع إلى محاضراته عن الشعر والنحو والعقلانية. وإحدى الموضوعات المتكررة في فلسفته كانت حقوق العقل (المنطق) ضد إدعاءات العادات والتقاليد والسلطة، كان على جانب عظيم من الذكاء والفهم وحدة الذهن والحفظ وتوقد الخاطر، وسافر في أواخر سنة 398هـ 1007م إلى بغداد فزار دور كتبها وقابل علماءها. وعاد إلى معرة النعمان سنة 400هـ، وشرع في التأليف والتصنيف ملازماً بيته، وكان اسم كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم، عاش المعري بعد اعتزاله زاهداً في الدنيا، معرضاً عن لذاتها، لا يأكل لحم الحيوان حتى قيل أنه لم يأكل اللحم 45 سنة، ولا ما ينتجه من سمن ولبن أو بيض وعسل، ولا يلبس من الثياب إلا الخشن، حتى توفي عن عمر يناهز 86عاماً، ودفن في منزله بمعرة النعمان.

قصيدة تعب كلها الحياة

إن من روائع قصائد العرب هي قصيدة أبي العلاء المعري الفلسفيّة، التي تصف أصل الوجود ومغازيه الظاهرة والخفيّة، وخلاصة فكر المعري في الموت والحياة، فالقصيدة كغرض شعري تصنّف في المراثي، فقد كتبها المعري في رثاء الفقيه الحنفيّ أبي حمزة، وقد قال فيها طه حسين: «نعتقد أن العرب لم ينظّموا في جاهليتهم وإسلامهم، ولا في بداوتهم، وحضارتهم قصيدة تبلغ مبلغ هذه القصيدة في حسن الرثاء» في هذه القصيدة يصور المعري الحياة مجردة بلا بهرجات، خالية من المعنى والعمق، والغريب أن تصويره هذا هو ما يعطي مظاهر الحياة والموت نفسها التي يصفها العمق والروح، إلا أنّها روح مثقلة بالفراغ واللاجدوى، ويعتمد الصدق في التعبير، فهو يقدم خواطره وحكمته بجرأة وعمق، يقول أبو العلاء:

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي ... نوح باكٍ ولا ترنم شادِ

وشبيهٌ صوت النعيّ إذا قِيس ... بصوت البشير في كلّ ناد

أبَكَت تلكم الحمامة أم غنّت ... على فِرْعِ غُصنِها الميّاد

صاحِ هذي قُبورُنا تملأ الرُحبَ ... فأين القبور من عهد عاد

خفّف الوَطْءَ ما أظنّ أَدِيْمَ الـ ... أرض إلا من هذه الأجساد

وقبيحٌ بنا وإنْ قَدُم العهدُ ... هوانُ الآباء والأجداد

سِرْ إن اسطعت في الهواءِ رُوَيداً ... لا اختيالاً على رُفات العباد

رُب لحدٍ قد صار لحداً مراراً ... ضاحكٍ من تزاحم الأضداد

تعبٌ كُلّها الحياةُ فما أعـ ... جبُ إلا من راغبٍ في ازدياد

إنّ حزناً في ساعة الموت ... أضعاف سرورٍ في ساعة الميلاد